

في نور محمّد فاطمة الزهراء

وساعة قال لرسول الله: «النساء كثير»، فذلك لأنّه كان يراه عليه الصلاة والسلام في شكٍّ من أمر عائشة مريب، وفي حيرة من مصيرها مؤنسة: أيمسكها أم يتركها، وإنّه في كلتا حاله هاتين لمُعانٍ من شقائه النفسي معاناةً تفدح الجبال. أفغلت فاطمة عن هذا الشقاء المضني، أم انفعلت به وعاشت فيه؟ بل غفلت عن تصوير إحساسها الحقيقي روايات الرواة! فما نحسبها إلاّ شاركت أباهما آلامه الشعورية مشاركةً كاملةً، وقاسمته كأس تجربته المرّة، جرعةً جرعةً، وحسوةً حسوةً، وقطرةً قطرةً. بعذابه النفسي تعذّبت مرّتين: مرّة إذ هي أمّه، ومرّة إذ هي ابنته. وليس كقلب أمٍّ حنون قلب، يتفطّر أسىً لمحنة ابن هو بسمه الحبّ على ثغر العمر، هو مشرق النور، ونبع الصبر على نوب الدهر، ومنهل العزاء حين الأرزاء. وليس كقلب ابنة وفيه قلب، يتمزّق لوعةً لبلوى أب هو خير أب، والفرد العلم في الآباء. إنّها لها الرجاء في الحياة ... كلّ الرجاء، لا رجاء سواه، ولا حياة لولاه، إذ هو نفسه هذه الحياة، بل ما وراءها من حياة. * * * ثم كان الخلاص ... أتت مشيئة ربّك بالبرء من علل الريب وأدواء الحيرة، انقشعت [1034] الغُمة عن الزهراء بانقشاع المحنة عن رسول الله، نزل شؤبوب [1035] طاهر من السماء غسل عن السيدة المظلومة ما علق بثوبها من درن الإفك ودنس الافتراء. بالحقّ نزل ... وبالحكمة نزل ... وبالرحمة نزل. تغشى محمداً من الوحي ما كان يتغشاه، فلمّا فصل عنه - والعرق ينحدر على